الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد:

فقد تقدم معنا أن هذه الأصول -الأصول الستة- الَّتِي هي من مباحث العقيدة الإسلامية الجلية ؛ قد جمع المؤلف فيها بين بيان تصحيح الاعتقاد وبيان ما يضاده ويناقضه ؛ وبين التطبيق العملي الذي يجب على المكلفين أن يلتزموا به ويتقيدوا بتعاليمه، حيث مر الأصل الأول وهو الأصل الأصيل والحبل المتين ألا وهو: **"وجوب إخلاص الدين لله I"**؛ امتثالاً لقوله -عز شأنه-: ﴿**فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾ [الزمر:2، 3]، ومن المعلوم أنه لا يقبل عمل ولا يرفع إلى الله T إلا إذا كان صاحبه مخلصًا فيه سائرًا على منهج نبيه الكريم ج وهو صاحب عقيدة سليمة كما قال تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾ [البينة:5]. وقال تعالى: ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف:110]، وقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تبين وتوضح وتفصل هذا الأصل العظيم الذي لا يستقيم لأحد دين ولا يكون من أهل الملة على سبيل اليقين، إلا إذا كان مخلصًا لله -تبارك وتعالى- في جميع

أقواله وأعماله وأفعاله الظاهرة والباطنة.

كما مر في درسٍ مضى أن هذا الأصل الأصيل يضاده الشرك بالله بقسميه: الشرك الأكبر والشرك الأصغر.

فأما الشرك الأكبر: فإنه إذا وقع فيه الإنسان فإنه يحبط الدين ويبطل العمل ويمحقه، وإذا مات صاحبه وهو متلبس به فإنه من أهل النار لا يموت فيها ولا يحيا بعد أن تقوم عليه الحجة الرسالية.

وشرك دونه يسمى بالشرك الأصغر: وضربنا له الأمثلة في الدرس الماضي بِما مثَّل به العلماء الذين يتتبعون نصوص الكتاب والسنة بيسير الرياء وبألفاظ تمليها شياطين الإنس والجن على عوام الناس الذين ليس لهم فقهٌ في دين الله، وفي مقدمة الفقه في دين الله الفقه الأكبر وهو تصحيح الاعتقاد ومحاربة كل ما يضاد الاعتقاد فينافي أصله أو ينافي كماله.

وموضوع درسنا: هو بيان الأصل الثاني من أصول أهل السنة والجماعة الذي هو: **"وجوب الاجتماع على الحق"**, الذي عظَّم الله شأنه بقوله: ﴿**أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾ [يونس:35]. وبقوله ﷻ: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ**

فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُر﴾ [الكهف: 29]، وهذا التخيير في هذه الآية ليس على بابه وإنما هو تخيير يحمل الوعيد الشديد لمن تنكب جادة الحق والصواب، وتمرغ في طرق الباطل على اختلاف أنواعه ؛ حيث أتى بعده وعيد شديد توجل منه قلوب الخاشعين، وتقشعر عند سماعه جلود المخبتين، وهو قول الله ﷻ: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِم سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾** [الكهف:29]. وهذا لمن كفر, حيث فَقَدَ الإخلاص ووقع في ضروب الشرك الأكبر الموجب لخلود أصحابه في سقر، الَّتِي لا تبقي ولا تذر، لواحة للبشر، وبعد ذلك قال الله ﷻ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾** [الكهف:30].

إذن: فالأمر بالاجتماع على الحق أصلٌ من أصول أهل السنة والجماعة, السلف الصالح وأتباعهم الذين لا يصدرون في أعمالهم الظاهرة والباطنة إلا عن كتاب ربِّهم وصحيح سنة نبيهم ج بالفهم الصحيح.

وبجانب الأمر بالاجتماع على الحق ومحبته والدعوة إليه ونصرته فقد جاء النهي في القرآن الكريم والشرع المطهر العظيم عن التفرق والاختلاف؛ لأن الاجتماع على

الحق يدعو إلى الوئام والألفة وإلى اتحاد القلوب واتحاد الكلمة، وإذا لَم يحصل اجتماع على الحق فإنه لا ألفة ولا وئام ولا اتحاد بين المسلمين من كل وجه بسبب دخول البدع المضلة على قلوب وعقول من انشرح بِها صدرًا ؛ وحينئذٍ فلابد من أن يتميز الناس بعضهم عن بعض فينقسمون إلى أقسام:

1- **قسمٌ هم أشرف الأقسام على الإطلاق**: وهم الذين فهموا عن الله -تبارك وتعالى- مراده وفهموا عن رسول الله ج دعوته, دعوة الحق الَّتِي تدعو إلى الألفة والوئام واتحاد القلوب واتحاد الكلمة، وهؤلاء قليل في كل زمان ومكان، فهم قومٌ وجَّهوا عنايتهم إلى الاهتمام بكتاب ربِّهم تلاوة صحيحة، وفهمًا للمعاني، واستنباطًا للحِكَمِ والأحكام، وتحليلاً للحلال، وتحريْمًا للحرام، وتأدبًا بحسن الأدب، وتخلقًا بِما دعت إليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية من الآداب الزكية، والأخلاق الفاضلة السنية، والسلوك الطيب الذي يتأسى فيه صاحبه برسل الله الكرام وأنبيائه العظام متقربًا به إلى الله ذي الجلال والإكرام .

2- **وقسمٌ يضاد هذا القسم في كل زمان ومكان**: وهم قوم أعرضوا عن الحق وعن فهمه بسبب بعدهم عن الذكر

الحكيم، وتمرغوا في طرق الضلال والبدع والباطل بشتى صوره، ومع هذا يرون أنفسهم أنَّهم هم أهل الحق والصواب، وأنَّهم دعاة الوئام واتحاد الكلمة وأهل الألفة إلى غير ذلك مما يتفوهون به وهم بمنأى عن الحق والصواب، وعن منهج أهل السنة والجماعة الداعي إلى الوئام والحق الذي يجب أن يعتصم به المكلفون في كل عمل من الأعمال وفي كل شأن من الشئون، وهذا القسم الذي يقابل القسم الأول يكون جزاؤه بحسب ما يقترف من البدع، ثُمَّ تقوم الخصومة بينهم وبين القسم الأول, أهل السنة والجماعة, السائرين على منهج السلف الذين لا تسمح نفوسهم بالسكوت عن البدع الَّتِي تنجم في مجتمعاتِهم، وإنَّما يبذلون في معالجتها وتفنيدها وتنحيتها عن السنة وأهلها قصارى جهدهم وغاية طاقتهم، ولابد أن يواجهوا -من أولئك الذين لُبِّس عليهم الحق وضُلِّلوا حتَّى ضلوا عن منهج الصواب- شتى صنوف الأذى ما يكتب الله لهم به الأجر الوفير والخير الكثير إن تحملوا وصبروا واحتسبوا ابتغاء مرضاة الله لا ليقال: فلان صابر ومحتسب ولكن رجاء رحمة الله وخشية عقوبته.

وهذا الصراع -بين القسمين المذكورين- حاصل في كل زمان ومكان لا يخلو منه زمان كما لا يخلو منه مكان، ولا يخلو منه مجتمع عبر تأريخ امتداد هذه الحياة، والمرحوم من

وفقه الله -تبارك وتعالى- لاقتفاء أثر الصالحين، ومن ضل فإنَّما يضل على نفسه، ولا تزر وازرة وزر أخرى، ولا تكسب كل نفس إلا عليها، وإذ كان الأمر كذلك فلابد من فهم نصوص الكتاب والسنة فهمًا صحيحًا، ولابد من التفقه فيما أتى به النَّبِي ج جملة وتفصيلاً بدءًا بالعقيدة، وامتدادًا إلى فهم الشعائر التعبدية، وفهم أحكام المعاملات، وفهم منهج الجهاد، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبذل النصيحة الَّتِي هي طريق أنبياء الله ورسله والسائرين على منهجهم بإحسان.

والآن وبعد هذا التلخيص المهم نأتي إلى بيان ما تضمنه الأصل الثالث من الأصول الستة ومن عقيدة أهل السنة والجماعة ومنهجهم:

الأصل الثالث: أن من تَمام الاجتماع: السمع والطاعة لمن تأمر علينا ولو كان عبدًا حبشيًّا[1].

---

[1] ذلك لأن الله -تبارك وتعالى- أمر بطاعته وأمر بطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام بدون قيد ولا شرط كما قال تعالى: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ [النساء:59]. فأمر بطاعته وطاعة رسوله مطلقًا لعصمة ما جاء عن الله ﷻ وبلغته رسل الله -عليهم الصلاة والسلام-، وقيدت طاعة ولي أمر المسلمين من أصحاب الولاية العامة وأصحاب الولاية الخاصة بطاعة الله ورسوله ج[1].

والمراد بـ "أصحاب الولاية العامة": من يلون شئون المسلمين سواءً في جميع أقطار الأرض، أو في جل أقطار الأرض، أو في إقليم من أقاليم الأرض، هؤلاء يسمون ولاةً لهم الولاية العامة، فطاعتهم في طاعة الله ﷻ، وطاعة رسوله -عليه الصلاة والسلام- من أوجب الواجبات ومن أهم المهمات؛ لأن بطاعة الله وطاعة رسوله ج وولي الأمر

---

(1) وأهل العلم أحد صنفي ولاة الأمر الذي أمرنا بطاعتهم في المعروف، فولاية أهل العلم في بيان شريعة الله والدعوة إليها، وولاية الحكام والأمراء في تنفيذ شريعة الله وإلزام الناس بِها.

المسلم يقوم الدين، ويسود الأمن، وتؤمن البلاد والعباد والسبل، ويتفرغ الناس لمقاصدهم وقضاء مآربِهم في هذه الحياة، ومآرب الناس متعددة ومتنوعة، منهم من حبب إليه السعي الحثيث فِي طلب العلم والفقه فِي الدين فتفرغ=

.....

= لذلك وهو آمن قد هيأ الله له من يحمي عرضه وماله ودمه ويؤمن السبل له وإن جاب الأقطار يجوبُها وهو آمن مطمئن، ومن الناس من يضرب في الأرض لابتغاء الرزق يريد المال وهذا لا بأس به ولا حرج على صاحبه إذا أحرز الواجب مما طُلب منه من العلم الشرعي ليقيم به مراد الله منه عقيدة وعبادة ومعاملة وأخلاقًا وسلوكًا، ومنهم ومنهم ... كما قال الشاعر:

كل له غرض يسعى ليدركه والحر يجعل نيل العلا له غرضًا

فالمقصود: أن التفرغ لهذه الأعمال دينًا ودنيا لا يتم على الوجه الصحيح إلا تحت ولاية والٍ مسلم يهيئه الله -تبارك وتعالى- فيؤمن العباد ويؤمن البلاد ويؤمن الطرق ويسهل أمورًا لابدَّ منها، ولا يقوم بِها أفراد المجتمع ولا تقوم بِها أفراد الأمة ولكن يقوم بِها الوالي المسلم وأعوانه ونوابه.

ولأهمية نصب الولاية على المسلمين فإن الواجب على

الرعية السمع والطاعة لمن ولاه الله أمرهم في المعروف والصبر عليهم وإن جاروا، والدعاء لهم بالتوفيق والسداد، والجهاد معهم لإعلاء كلمة الحق، والتعاون معهم ظاهرًا وباطنًا على البر والتقوى، وعدم نشر مثالبهم، وبذل النصح لهم على الوجه الشرعي الذي فيه ستر عليهم، وما أجمل دعاء الصالحين للوالي المسلم فإن الله I وتعالى يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، وكان بعض الأئمة الفضلاء كالإمام أحمد[1]، والفضيل بن عياض[2]=

.....

= وأمثالهما يحرصون على بذل الدعاء للوالي المسلم حتَّى قال الإمام أحمد: "لو أني أعلم أن لي دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان"[3].

وهكذا قال الفضيل بن عياض لَم يجعل الدعاء لنفسه

(1) هو الإمام العالم الحجة المجتهد البارع الحافظ أبو عبد الله الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني له مصنفات ومن أشهرها مسنده، ولد سنة 164’، وتوفي سنة 241’.

(2) هو الإمام الزاهد العابد فضيل بن عياض بن مسعود التميمي، أبو علي، أصله من خراسان وسكن مكة مات سنة 187’ وقيل قبلها. التقريب (113/2) (67) وصفة الصفوة (237/2).

(3) انظر شرح السنة للبربَهاري (ص114)، وطبقات الحنابلة (36/2)، وفيض القدير (399/6) وحلية الأولياء (91/8) وسير أعلام النبلاء (434/8).

ولكن يجعله للسلطان؛ لأن ما يصلح الله T بالسلطان من الأمور ومن شأن الدين والدنيا أكثر فائدة وأعظم نفعًا من دعوة الإنسان لنفسه لو استجيبت، وكما أسلفت أن طاعة ولاة أمور المسلمين في المعروف كما قيدها النَّبِي الكريم ج بقوله: $**إنَّما الطاعة في المعروف**#[1]. وما كان من مخالفات وما كان من معاصي تنجم من الوالي أو من أعوانه أو من الرعية تعالج على وفق منهاج النبوة فقد كان النَّبِي ج يعالج الأمور والأخطاء الَّتِي تنجم في المجتمع وهو القرن الأول الذي شهد له النَّبِي ج بالخيرية المطلقة وما بعده كذلك، لابد من بذل العلاج ولابد من إقامة فريضة الدعوة إلى الله T ولكن على حد قوله تعالَى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ**=

فبين النَّبِي ج هذا الأصل بيانًا شائعًا ذائعًا بكل وجه من أنواع البيان شرعًا وقدرًا[1].

= **الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [النحل: 125]. والطاعة لولاة

(1) أخرجه البخاري (2612/6، 2649) ومسلم (1469/3) وابن حبان (429/10) والبيهقي (156/8) وأبو داود (40/3) والسنن الكبرى (434/4) والنسائي (المجتبى) (159/7) وابن أبي شيبة (543/6) ومسند البزار (206/2) ومسند أحمد (82/1، 94، 124) ومسند الطيالسي (15/1، 17) ومسند أبي يعلى (309/1، 454) .

أمر المسلمين لا ينبغي أن تكون في الظاهر وأن يكون هناك في السر والخفاء ما يخالف الطاعة المعلنة لأن المؤمن الصادق في إيْمانه الوفي في بيعته يتفق ظاهره وباطنه في التعامل مع الله T وفي التعامل مع عباد الله، فإن تعامل بالحسنى في الظاهر مع ربه ومع الناس وخالف في الباطن فقد تشبه بالمنافقين، وهذا من أنواع الظلم للنفس، وإذا استقام ظاهره وباطنه على حد سواء فهذه حقيقة الإيْمان وعلامة الإحسان.

[1] وهذا لاشك فيه؛ لأن الله I أمر في كتابه بالسمع والطاعة لولاة أمور المسلمين والنبي الكريم ج في جملة من الأحاديث النبوية حث على هذا الأصل وشدد فيه لئلا يبقى إشكال على الأمة في أي عصر وفي أي مصر وفي أي زمان وفي أي مكان فقال النَّبِي ج: $**اسمعوا وأطيعوا وإن تأمر عليكم عبد**# إلخ[1]. وقال ج: $**اسمع وأطع وإن ضرب ظهرك وأخذ** =

(1) أخرجه أحمد في مسنده (114/3)، وأبو داود (200-201/4)، والترمذي (209/4) وقال عنه: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (15-17)، وصححه الألباني -رحمه الله- في صحيح سنن ابن ماجه (13/1)، والدارمي (57/1) والمستدرك على الصحيحين (174/1)، ومجمع الزوائد (192/5)، وسنن البيهقي الكبرى بنحوه, والسنن الكبرى (413/4)، وسنن النسائي (المجتبى) (154/7)، ومصنف ابن أبي شيبة (418،419/6)، والمعجم الأوسط (26/4)، والمعجم الكبير (260/1).

ثُمَّ صار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم فكيف العمل به؟![1].

= **مالك**#[1]. وغير ذلك من النصوص كثير ؛ وكلها تدعو إلى تحقيق هذا الأصل الأصيل من أصول أهل السنة والجماعة ؛ إذ لا يتم اجتماع في الحقيقة إلا بالسمع والطاعة لولاة أمور المسلمين في المعروف.

[1] ثُمَّ بين الشيخ -رحمه الله- أن هذا الأصل قد صار لا يعرف عند كثير من الناس وهؤلاء الذين فقدوا معرفة هذا الأصل -أعني: طاعة ولي أمر المسلمين في المعروف- السبب في ذلك جهلهم لنصوص الكتاب والسنة، أو السبب في ذلك سوء المقاصد و النوايا، فلا يخرج عن هذا الأصل إلا من تشبث بأصل الباطل الذي تشبث به الخوارج[2]. =

---

(1) أخرجه مسلم عن حذيفة بن اليمان τ (1476/3) وابن حبان بنحوه (428/10) وأبو داود (95/4) بنحوه وسنن البيهقي الكبرى (157/8) ومسند أحمد بنحوه (403/5).

(2) **الخوارج**: فرقة ظهرت في زمن علي بن أبي طالب τ يوم الحكمين، يكفرون بالمعاصي ويخرجون على أئمة المسلمين وجماعتهم، وهم فرق متعددة بعضها قد انقرض مثل الأزارقة والصفرية والنجدات وبعضها ما زال إلى اليوم وهم الإباضية وأكثر ما يتواجدون في عمان، كما يشمل =

= **والخوارج**: هم الذين يخرجون بالسلاح على ولي الأمر المسلم بدعوى أنَّهم يريدون أن تحكَّم شريعة الله كاملة، وأن يكون ولاة الأمر أهل عصمة من كبائر الذنوب، لأن من وقع فيها من المسلمين فقد كفر عندهم وإن مات عليها فهو خالد مخلد في النار، وأن يكون الناس دائمًا وأبدًا أهل صواب واستقامة؛ لأنَّهم يكفِّرون بالمعاصي لمن مات عليها فيخرجون على أئمة المسلمين بالسيف وشق عصا الطاعة فيحصل من سفك الدماء، ومن قتل الأبرياء، ومن تعقيد الأمور -أمور الدين والدنيا- الشيء الكثير كما هو معلوم في وثائق التأريخ، كلما ظهرت فرقة من الناس وسلكت مسلك

=

اسم الخوارج كل من أخذ بأصولهم وسلك سبيلهم كجماعة التكفير والهجرة المتفرعة من جماعة الإخوان المسلمين الذين يربون الشباب على الطعن في الحكام والعلماء بالقول والفعل، وأكثر ما نراهم في بعض الشباب الذين ليس لهم رصيد من العلم الشرعي أو الذين لَم يكتمل علمهم، ولَم يتلقوا عن العلماء الربانيين وإنَّما يتتلمذ بعضهم على بعض، أو على الكتب الَّتِي فيها كدر دون الرجوع لأهل العلم الشرعي, أو على ما يضر ولا ينفع من بعض الجرائد والمجلات كما نشاهدها في كثير من المثقفين وأصحاب الشعارات الذين لَم يتفقهوا في الدين على نَهج سليم ولَم يرفعوا بالعلم الشرعي رأسًا كما يجب عليهم إنَّما رصيدهم العواطف ولا حول ولا قوة إلا بالله..

الخوارج تأثرت المجتمعات من صنيعهم واشتغلوا بحماية أعراضهم وحماية أموالهم وحماية دمائهم وهذا شر مستطير وعمل خطير.

ومثل الخروج على ولاة الأمر بالسلاح الخروج بالكلمة سواء كانت مكتوبة، أو مودعة في شريط، أو مرسلة من فوق المنابر، فالخروج بالكلمة وسيلة للخروج بالسلاح وذلك هو الضلال المبين، ومن أراد نصيحة ولاة الأمور على اختلاف درجاتِهم وطبقاتِهم فليأت بِها على الوجه=

.....

= الشرعي، لا نقول نترك النصائح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكن بأسلوب علماء السلف الذين كانوا يبذلون جهودهم في مناصحة ولاة أمور المسلمين على اختلاف طبقاتِهم[1]. غير أن الخوارج وأتباعهم لا يعرفون هذا الأصل, وقد تألم من صنيعهم هذا الإمام في عهده فقال: "ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدَّعي العلم

(1) **ومن أهم ذلك وأعظمه قدرًا**: أن يناصح ولاة الأمر سرًّا فيما صدر عنهم من أخطاء ولا يشهّر بعيوبهم على المنابر لأن ذلك يفضي إلى الفوضى وسوء الحال والمآل.

فكيف العمل به؟!".

قلت: نعم من جهل شيئًا عاداه، وفاقد الشيء لا يعطيه، فإذا كانوا جهَّالاً وهم يدَّعون العلم سواء في هذا الأصل أو في غيره من الأصول فإنَّهم لا يمكن أن ينتفعوا ولا يمكن أن ينفعوا الأمة بحال من الأحوال.

1- فالأول: العلم وأخذه عن أهله ورثة الأنبياء والمرسلين السائرين على نَهج السلف الصالحين.

2- ويتبع العلم العمل باطنًا وظاهرًا كما كان أسلافنا الأوائل فقد كانوا يعملون ويخافون على أنفسهم أن تخالف أعمالهم أقوالهم وأن تخالف ظواهرهم بواطنهم.

نعم: يخافون على أنفسهم من ذلك أشد الخوف.

والأصل الرابع: بيان العلم والعلماء والفقه والفقهاء، وبيان من تشبَّه بِهم وليس منهم، وقد بين الله تعالى هذا الأصل في أول سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُم﴾ [البقرة:40]. **إلى قوله قبل ذكر إبراهيم** υ: **﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾**[1].

---

[1] وكم لها من نظائر, بيَّن الله -تبارك وتعالى- فيها منْزلة العلم الشرعي ومنْزلة العلماء الشرعيين ومنْزلة الفقه

الإسلامي المأخوذ من كتاب الله وصحيح سنة رسول الله ج بالفهم الصحيح، ومنْزلة الفقهاء, فَهُمْ سادة الأمة وهم أشراف كل مجتمع، وما ذلك إلا لأنَّهم بذلوا جهودهم وقضوا جل أوقاتِهم في التفقه في دين الله الذي هو علامة على سعادة من بذل جهده في الفقه فيه كما قال النَّبِي ج: $**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**#[1]. فالفقهاء في كتاب ربِّهم وصحيح سنة نبيهم ج هم أهل الصدق والإخلاص والبيان والنصح للأمة؛ وهم أشراف الناس وفضلاؤهم لأنَّهم أخذوا ميراث النبوة الغالي الذي قال الله -تبارك وتعالى- فيه: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ**﴾ [فاطر:32]. ومن السابقين إلى الخيرات الذين هم أشرف الأقسام وهم العلماء العاملون فِي=

= كل زمان وفي كل مكان، العلماء بشرع الله والعاملون به

(1) أخرجه البخاري (41/1)، ومسلم (718/2، 719)، وابن حبان (291/1)، والترمذي (28/5)، والدارمي (85/1)، ومجمع الزوائد (121/1، 182، 183)، وابن ماجه، وابن أبي شيبة (240/6)، ومسند أحمد (306/1)، والمعجم الأوسط (117/2) .

اللذين لَم يقتصروا على أنفسهم وإنَّما تعدى نفعهم إلى غيرهم، فهنيئًا لهم كم لهم من الأجر إن أصابوا وأخلصوا لله وصدقوا مع الله -تبارك وتعالى- في كل ما يأتون ويذرون ويقولون ويفعلون، وصدقوا مع مجتمعاتِهم في بذل النصح لهم لكسب الأجر، كما أرشد الله -تبارك وتعالى- في قوله الحق إلى ذلك: ﴿**وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [البقرة: 195].

وكما أرشد النَّبِي ج إلى ذلك بأوضح عبارة وأجمل أسلوب يحمل الترغيب لمن بذل جهده في إيصال الخير إلى الغير كما قال النَّبِي ج: $**فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من حمر النعم**#[1]. وكما قال ج: $**إن الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض حتَّى النملة في جحرها والحيتان في البحر ليصلون على معلمي الناس الخير**#[2]. وكما قال ج: $**من دل على خير فله مثل أجر فاعله** #[3]، وكما قال النَّبِي الكريْم ج:

---

(1) أخرجه البخاري (1077/3) ومسلم (1872/4) وابن حبان (378/15).
(2) أخرجه الترمذي (50/5)، ومجمع الزوائد (134/1)، والمعجم الكبير (234/8)، وابن حبان (525/1)، وسنن البيهقي (28/9)، وأبو داود (333/4)، ومسند أحمد (120/4)، ومسند الطيالسي (85/1)، وقد صححه الألباني -رحمه الله- في صحيح الجامع (1/ 376) .
(3) أخرجه مسلم (1560/3).

ويزيده وضوحًا ما صرحت به السنة في هذا الكلام الكثير البين الواضح للعامي البليد[1].

=$**الدال على الخير كفاعله**#(1). وأهل الفقه والفقهاء وأهل العلم الشرعي الذين لَم يكتموا علمهم بل نشروه ابتغاء مرضاة الله ورجاء رحمته وإنقاذ البشرية من بدعهم وضلالاتِهم وغوايتهم ومعاصيهم لهم مغفرة وأجر كبير؛ لأن دعوة الداعي تمتد إلى يوم القيامة فينتفع بِها الجيل الذي يعيش فيه ولَم تنقطع دعوتُهم بل تمتد دعوتُهم فتتناقلها الأجيال، لقد قال فلان: كذا وكذا، وعلَّمنا فلان بكذا وكذا، وذكَّرنا بأن الله أمرنا بكذا ونَهى عن كذا، وأخبرنا أن الرسول الكريم ج بَيَّن البيان الشافي وترك الأمة على البيضاء ليلها ونَهارها سواء، هكذا يبقى ذكر العالم بالله وبأمره وهم العلماء الشرعيون والفقهاء الإسلاميون الذين علموا الحق وعملوا به وعلَّموه غيرهم فاستحقوا أن يوصفوا بالربانيين.

---

(1) أخرجه أبو داود (333/4) والإمام أحمد (274/5) ومجمع الزوائد (166/1) ومسند البزار (150/5) ومسند أبي يعلى (275/7) والمعجم الكبير (186/6), والحديث صحيح, انظر السلسلة الصحيحة (216/4) (1660) ..

[1] لأن آيات القرآن واضحات نيِّرات, من استمع إليها وأنصت لها وهو من أولي الألباب فَهِمَ ما دلت عليه من المقصود والمطلوب، ولا يفقد المعاني إلا من أعرض عن هذا الكتاب العزيز وعن صحيح السنة المطهرة بسبب ما غلبه من هواه أو ما شغله من دنياه.

ثُمَّ صار هذا أغرب الأشياء، وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات، وخيار ما عندهم لبْس الحق بالباطل، وصار العلم الذي فرضه الله تعالى على الخلق ومدحه لا يتفوه به إلا زنديق أو مجنون، وصار من أنكره وعاداه وصنف في التحذير منه والنهي عنه هو الفقيه العالِم[1].

---

[1] هذا عند من؟! وفي قاموس من؟! وفي قلوب من؟! إنه في قلوب أهل البدع سواء البدع المكفرة، أو البدع المفسقة المضللة.

والفرق بينهما: أن البدع المكفرة تُخرج صاحبها من دائرة الإسلام إن كان قبل ذلك من جملة المسلمين.

ألا وإن أهلها ليستميتون في الدفاع عنها ويحرصون على جلب الناس إليها ليكونوا على مثل ما كانوا عليه، ومنهم عُبَّاد القبور والغلاة في أصحاب الأضرحة في كل زمان وفي كل مكان.

ويالله كم ألحقوا بالناس من الضرر، لقد ظهرت بدعة القبورية المنكرة واتسع نطاقها في شرق الدنيا وغربِها بعد القرون المفضلة في أيام الدولة الَّتِي سميت بالدولة الفاطمية "العبيديين"[1]، عاش الناس ما لا يقل عن مائتِي سنة والبدع تنتشر، والأضرحة تقدس وتبنَى، وتلبس بالألبسة=

.....

= والأقمشة الفاخرة وتطيب ويطوف بِها جُهَّال الناس بسبب من يدَّعون العلم وهم جُهَّالٌ بأمر الله وأمر رسوله -عليه الصلاة والسلام- ؛ فيُزَيّنون للناس بأن هؤلاء أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ويقولون: للناس هؤلاء الأولياء لهم ما يشاءون عند الله وأنتم قوم عصاة ولكنكم أصحاب حاجات ؛ فتعالوا وقربوا لهم القرابين واستغيثوا بِهم واستشفعوا بجاههم وتوسلوا بذواتِهم فإنَّهم يسمعونكم ويرفعون حاجاتكم إلى الله, من جلب المصالح ودفع المضار.

(1) **قال الإمام ابن كثير -رحمه الله- في البداية والنهاية (286/12) في حوادث 567**: "وقد كان الفاطميون أغنى الخلفاء وأكثرهم مالاً، وكانوا من أغنى الخلفاء وأجبرهم وأظلمهم، وأنجس الملوك سيرة، وأخبثهم سريرة، ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات وكثر أهل الفساد وقل عندهم الصالحون من العلماء والعباد ... ".

ومن غير تردد أن هذا هو فعل كفار العرب ومن نحا نحوهم من البرية في زمن الرسول ج الذين قصَّ الله خبرهم بقوله عن وصية بعضهم لبعض: ﴿**أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ**﴾ [ص: من الآية6، 7].

لقد عاشت الأمة -والعياذ بالله- ردحًا من الزمن وأكثرهم على هذا الحال الذي يُغضب الله الكبير المتعال، ولا تخلو الأرض من أهل العلم الشرعي والفقه في دين الله ؛ فإنَّهم قد وُجدوا في ذاك الزمان وأبلوا بلاءً حسنًا وإن قل عددهم، وبينوا للناس بأن هذا شرك أكبر لا فرق بينه وبين الشرك الذي كان يفعله الكفار في عهد النَّبِي الكريم ج ولا فرق بين المشركين بِهذه الصور, عباد الأضرحة المستغيثين بِهم وبين المشركين الذين قاتلهم النَّبِي ج, لا فرق بين أولئك وهؤلاء ؛ فالكل يقولون: ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى**﴾ [الزمر:3].

=

= والكل يقولون: نؤمن بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت، ولكنهم يتفقون في التوجه بجل عبادتِهم إلى أصحاب الأضرحة من أهل القبور وإلى من يسمونَهم الأولياء وإن كانوا أحياء فيقربون لهم القرابين ويعتقدون فيهم من جلب

المصالح ودفع المضار ما لا يقدر عليه إلا الله الواحد القهار.

إذن: فالبدع داءٌ ؛ وأعظمها شرًّا البدعة الَّتِي تخرج صاحبها من دائرة الإسلام، ولا يستهان بشيء من البدع ؛ فالبدع أيضًا الَّتِي هي دون ذلك شر مستطير على أهلها وعلى المجتمعات الَّتِي تنشر فيها وتنتشر، وقد حذَّر النَّبِي ج في حياته قبل أن تنجم بدعة -وذلك من معجزاته ج- فقال ج: $**وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**#[1] ولَم يستثن بدعة قولية أو فعلية، ولَم يستثن بدعة صغيرة ولا كبيرة ؛ لِمَا فِي البدع من الشر لأنَّها اتِّهام لدين الله بأن فيه=

(1) أخرجه مسلم (592/2)، والإمام أحمد (310/3)، وابن ماجه في المقدمة وهو قطعة من حديث طويل (18/1)، والنسائي (550)، وابن حبان (179/1)، وأبو داود (174/1)، والدارمي (80/1،57)، والسنن الصغرى (481/1)، ومجمع الزوائد (171/1)، وسنن البيهقي الكبرى (214/3)، وزاد: $**وكل ضلالة في النار**#. وهي عند البيهقي أيضًا (303/3) (5800)، وسنن النسائي (المجتبى) (179/3). قال عنها الألباني -رحمه الله-: وسندها صحيح. انظر إرواء الغليل (73/3) (608).

= نقصًا، وفيها مشاركة لله T في التشريع، وهذا ذنب عظيم لا يتخلص منه إلا من أقبل على كتاب ربه وصحيح سنة نبيه ج وسأل عن منهج السلف الصالح وتتلمذ على أيدي أتباعهم فإن الله -تبارك وتعالى- يكتب له السلامة إذ أن إدراك الحاجات بالتوكل على الله والأخذ بالأسباب الشرعية والمباحة، وإذا تركت الأسباب وفُقِدَ التوكل على الله فاتت الغايات وماتت المقاصد وجاءت النتائج سيئة ومظلمة وضارة غير نافعة.

إذن: فإن البدع قد تكون في المجتمعات فيما يتعلق بالعقيدة كما حصل من سوء الاعتقاد من التجهم[1]، والاعتزال[2]، والتمشعر[3]، والتصوف وكل هذه البدع مضلة,

(1) **الجهمية** : أصحاب الجهم بن صفوان، وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمذ وقتله سلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية، ووافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء . الملل والنحل (73/1).

(2) **المعتزلة** : أصحاب واصل بن عطاء الغزال لما اعتزل مجلس الحسن البصري، يقرر أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، ويثبت المنْزلة بين المنْزلتين وغيرها فطرده، فاعتزله وتبعته جماعة سموا المعتزلة . الملل والنحل (38/1).

(3) **الأشاعرة** : هم فرقة أسسها أبو الحسن الأشعري في أول أمره بعد اختلافه =

بعضها يخرج صاحبه من الإسلام، وبعضها يكون صاحبه على أعظم الخطر ولو لَم يخرج من دائرة الإسلام. =

.....

= وهكذا تأتي البدع في الشعائر التعبدية فيما يتعلق بالصلاة, أذكارها وهيئاتِها، وفيما يتعلق بالمعاملات من تحليل الحرام أو تحريم الحلال، وفيما يتعلق بِمنهج الدعوة إلى الله T ممن يدَّعي أنه من الدعاة إلى الله ولكنه يسلك مسلك الخوارج في دعوته فيتوجه بجميع قواه وفكره ومشاعره في مصاولة الحكام ونوابِهم، ويسلك سبلاً مختلفة ما فعلها رسل الله الكرام ولا أنبياؤه العظام ولا أتباعهم من الأنام؛ من المسيرات، والاغتيالات والتنظيمات السرية، والمظاهرات، وما شاكل ذلك من المحدثات والطرق المعوجة الَّتِي خرج أصحابُها -في كثير من تصرفاتِهم- عن الصراط المستقيم الذي رسمه الله -تبارك وتعالى- لعبده ورسوله ج وأمته تبع له في ذلك، وقد بين الرسول ج منهج

=

مع المعتزلة غير أنه رجع إلى مذهب السلف، ومصدر التلقي عندهم العقل، ويبطلون بعض الصفات ويأولون بعضها . الأجوبة السديدة للشارح (5/4) بتصرف.

الدعوة إلى الله الصحيح غاية البيان بالقول والفعل فقال فيما رواه جابر بن عبد الله τ[1]: $كنا جلوسًا عند النَّبِي ج فخط خطًّا هكذا أمامه، فقال: **هذا سبيل الله**. وخطين عن يمينه وخطين عن شماله, وقال: **هذه سبل الشيطان**. ثُمَّ وضع يده في الخط الأوسط ثُمَّ تلا هذه الآية: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾#[2].

.....

= وإذ كان الأمر كذلك فإن الواجب علينا أن نبذل جهودنا في تناول العلم الشرعي وأخذه من أفواه الأشياخ الراسخين في العلم الشرعي السائرين على نَهج السلف الصالح، وفي اختيار الكتب الَّتِي تحمل في صفحاتِها كل نافع ومفيد، وأن نرفض البدع، ونَهجر أهلها، ونتبرأ من صنيعهم الذي حذرنا منه النَّبِي الكريم ج في أي باب من أبواب العلم والعمل, فكلها شر، وأهلها دعاة سوء وغش للإسلام والمسلمين، والخير بحذافيره في كتاب ربنا وصحيح سنة نبينا ج وفهم

(1) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بِمهملة وراء، الأنصاري، ثُمَّ السَلَمي -بفتحتين- صحابي بن صحابي، غزا تسع عشرة غزوة، ومات بالمدينة، بعد السبعين، وهو ابن أربع وتسعين . تقريب التهذيب (122/1).

(2) سبق تخريجه (ص19).

سلفنا الصالح، والشر بحذافيره فيما خالف ذلك، والناس في الخير بين مستقل ومستكثر، وكذلك في الشر هم بين مستقل ومستكثر، والمرحوم من عباد الله من أتى بأسباب رحمة الله ورضوانه فرُحم، والزائغ عن سبيل الهداية هالك, ولا يهلك على الله إلا هالك شقي.

ألا وإن المسابقة إلى الخيرات أمر رغَّب فيه القرآن وأوجبه كما قال الله T: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران:133]. وأكد هذا المعنى بقوله: ﴿**سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ [الحديد:21]. ومثلهما قول الحق -تبارك وتعالى-: ﴿**وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾ [المطففين: 26].

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.